بحث جديد في الجغرافيا التاريخية للتوراة

د. كمال الصليبي، **التوراة جاءت من جزيرة العرب** (ترجمة عفيف الرزاز)، بيروت، مؤسسة الابحاث العربية، الطبعة العربية الثانية، ١٩٨٦، ٢٣٦ صفحة.

نحن بصدد كتاب مختلف. فمقدمة الناشر او المؤلف او كلتاهما مما اعتدنا على مطالعته قبل الغوص في مادة كتاب، مطلق كتاب، لم تحتل مكانتها التقليدية وتؤدي وظيفتها المعتادة في التمهيد لمادة البحث التي يتضمنها المؤلف الذي بين ايدينا. فالدكتور كمال الصليبي، وهو احد اساتذة دائرة التاريخ والآثار في الجامعة الاميركية في بيروت، طرح في مقدمته التي لا تتجاوز تسع صفحات، مجموع استنتاجات البحثية وما استخلصه من مقولات ونظريات دفعة واحدة، بدلاً من ان يقودنا، عبر منهاج بحثه ووسيلته المعرفية، الى هذه الاستنتاجات والنظريات. وحتى مجرد اختيار عنوان الكتاب، «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، جاء بمثابة فرضية، تطرح عملية مناقشتها صدمة كبيرة لمجموع قناعاتنا السابقة، التي وصلتنا كمحصلة لتداول عالمي لها، استمر آلاف السنين.

نحن، اذاً، امام «صدمة» تدفعنا الى ملاحقة كل البراهين التي عمل المؤلف على تقديمها عبر ٢٣٦ صفحة متوسطة الحجم، قسمت الى ١٧ فصلاً وملحقاً، تسعى بدون كلل لاثبات نظرية الكتاب. تلك النظرية التي «سقطت» بين يدي الصليبي، مثلما اسقطت الصدفة وحدها «تفاحة نيوتن»، فحملته الى البحث عن السر في الجاذبية الارضية التي لم يكن سمع بها من قبل رغم وجودها الموضوعي.

كان د. الصليبي يمضي بعض الوقت في شبه الجزيرة العربية بغرض البحث «عن اسماء الامكنة ذات الاصول غير العربية» (ص ٢٧)، حين وجد «ارض التوراة كلها هناك. وذلك في منطقة بطول يصل الى حوالى ٦٠٠ كيلومتر، وبعرض يبلغ حوالى ٣٠٠ كيلومتر. وتشمل ما هو اليوم، عسير والجزء الجنوبي من الحجاز» (الصفحة نفسها). وكان أول ما تنبه اليه د. الصليبي، هو «ان في هذه المنطقة، اسماء امكنة كثيرة، تشبه الامكنة المذكورة في التوراة. وسرعان ما تبين [له] ان جميع الامكنة التوراتية، العالقة في [ذهنه]، او جلّها، ما زال موجوداً في تلك المنطقة. وتبين [له] ايضاً، ان الخريطة التي تستخلص من نصوص التوراة في اصلها العبري، سواء من ناحية اسماء الاماكن، او من ناحية القرائن او الاحداثيات، تتطابق، تماماً، مع خريطة هذه الارض، وهي حقيقة ذات اهمية أولية، نظراً لانه لم يثبت، اطلاقاً، تطابق الخريطة الموصوفة في التوراة، مع خريطة الارض ـ بين النيل والفرات ـ التي اعتبرت حتى اليوم انها بلاد التوراة» (الصفحة نفسها).

وبناء عليه، وضع الباحث افتراضين بناهما على استنتاجاته الرئيسة من الحقيقة الاولية التي توصل اليها.

الاول: ويقول بأن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين، بل في غرب شبه الجزيرة العربية، بمحاذاة البحر الاحمر، وتحديداً في بلاد السراة، بين الطائف ومشارف اليمن (من مقدمة المؤلف، ص ١١).

الثاني: ويستند الى الافتراض الأول ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً، ويفيد بأن مملكة اسرائيل التاريخية لم تقم في فلسطين، وانما قامت في شبه الجزيرة العربية، وان بني اسرائيل هم من شعوب العرب البائدة، اي من شعوب الجاهلية الأولى. وقد نشأت الديانة اليهودية بين ظهرانيهم، ثم انتشرت من موطنها الأصلي، ومنذ وقت مبكر، إلى العراق والشام ومصر، وغيرها من بلاد العالم القديم. (الصفحة نفسها). «وهذا يقودنا الى خلاصة مؤداها ان يهود التوراة من بني اسرائيل، انقرضوا، ولا حق ليهود اليوم في فلسطين. [فهم]